إشكاليات المصطلح العربي في الخطاب النقدي الجزائري
قـراءة في الراهن و البدائـل: الانزياح أنموذجـا

د/ بغداد برادي
جامعة جيلالي ليابس —سيدي بلعباس (الجزائر)

ملخص البحث:

كثر الكلام في اشكالية المصطلح النقدي الحداثي من حيث ترجمته و مفهومه و توظيفه؛ و إذ بلغ الأمر أن تباينت الهوة النقدية بين المشتغلين في الحقل النقدي الأدبي، و اتسعت الفجوة في دائرة الاختلاف عند توظيف المصطلح النقدي، أصبح من الضروري البحث في مشروع يرفع الاشكال و يدفع أسباب تراجع ظاهرة نقدية تبشر بخير في الساحة النقدية الجزائرية، خاصة الأكاديمية منها، لكن البحث في المسألة يقتضي الوقوف على عللها.

و لعلها اختلاف النقاد في المرجعيات الفكرية للنقد الأدبي من حيث مصادره الثقافية و اللغوية، ليس و حسب في أطر المثاقفة الفكرية النقدية النظرية و التطبيقية، بل و كذلك على مستوى تبنّي الفكر المنهجي في توظيف المصطلح. فالمدارس النقدية الغربية المعاصرة – باعتبار نقدنا الجزائري ناقلا عنها الكثير من المفاهيم النقدية– تختلف أصول فكرها النقدي على مستوى صياغة المصطلح بنية و مفهوما و توظيفا، و لنا أن ننظر في أعمال بعض النقاد الجزائريين مثل: د. عبد الملك مرتاض و د. يوسف وغليسي، و د. مسعود بودوخة، و د. نور الدين السد و د. بشير تاوريريت، و د. السعيد بوطاجين، و د. رابح بوحوش، و د. صالح بلعيد و د. حسين خمري....

و إذ بلغ الأمر هذا المستوى في تفاقم إشكالية المصطلح النقدي الجزائري، أصبح من الضروري النظر في مراجعة الخطاب النقدي، و ذلك بالسعي لتأصيله و تحديثه. و لعل الخطوة الأولى في ذلك: هي إعادة النظر في المصطلح النقدي نظرة ذاتية تقويمية، لا انتماء لها لشرق أو لغرب إلا إذا أيّدته الحجة العلمية الدامغة. و قد تكون الخطوة الثانية هي تمحيص مفهومه و تجريد ماهيته لما يناسب نقدنا المعاصر، و أحسب أنّه قد شب عن الطوق و بلغ رشده بفضل ثلّة من النقاد المجتهدين كالدكتور عبد الملك مرتاض و غيره من الأساتذة. أمّا الخطوة الثالثة، فإنّي أعتقد جازما أنّها ماثلة في تقديم البدائل و أحسبها لا تعدو النقاط التالية:

أ– العمل المؤسساتي القائم على الجهود المخبرية و الأصول الجامعة بين الأصالة و الحداثة.

ب– توحيد المصطلح النقدي نموذجا جزائريا تتأسى به الجهود النقدية العربية.

جـ– التواصل مع مراكز البحث العالمية و المخابر الكبرى.

د– مشاريع مؤسساتية في المصطلح(بحوث–ملتقيات–مؤتمرات–دورات علمية) قائمة على فكر استشرافي فاعل في النقد العالمي و آدابه.

بهذه السبل يتسنّى للنقد الجزائري الخروج من ضائقة التبعية لشرق أو لغرب، لرحابة نقد يثمن ذاته و يسترشد خلفه مستأنسا الحداثة في انفتاحها المعرفي و في سعتها الإبستمولوجية في صناعة المصطلح النقدي.

و قد اختارت هذه الورقة مصطلح الانزياح نموذجا لمعالجة اشكالياته المصطلحاتية في النقد الجزائري ، فوضعه لا يختلف من حيث الاضطراب و التداخل المعرفي –لدرجة الفوضى– مع غيره من المصطلحات العربية التراثية و الحداثية.

1–الإنزياح في المصطلح النقدي الجزائري: تناول النقد الجزائري – و الأكاديمي منه خاصة– مصطلح الإنزياح منذ العقد الأخير من القرن الماضي، و لعل أقدم إشارة لمفهوم المصطلح ظهرت جليّة المعالم في كتابات الدكتور عبد الملك مرتاض، و كانت بدايات التناول الاصطلاحي تحديدا في مؤلفه الموسوم بـ" النص الأدبي: من أين؟ و إلى أين ؟ "، و هو يتناول رسالة أبي حيان التوحيدي بالتحليل الأسلوبي[1] ، و كيف بين إنزياح أسلوب التوحيدي من هيمنة الفعل إلى هيمنة الاسم، و هذا النوع من أساليب الكلام يمكننا من استكشاف دلالة النص –من خلال بنيته التركيبية– لتجريد التوحيدي الدلالة من مرحلية الحدث إلى ثبوته من خلال توظيفه للاسم– و هو الحدث المجرد من الزمان– و تمكينه من الفعل ضمن بنية النص بأثر الغلبة.

و يأتي ذكر عبد الملك مرتاض مصطلح الإنزياح باللفظ في مؤلفه " نظرية النص الأدبي" ، والملفت للنظر هنا هو اعتبار عبد الملك مرتاض الانزياح مصطلحا سيميائيا في أكثر من مناسبة[2]، و إذا كان الأمر كذلك من حيث التصنيف، فإن الدكتور قد آثر الانزياح مصطلحا، إذ كان من قبل يستعمل"كلمات اصطلاحية أخرى تدور في الفلك المفهومي ذاته، مثل العدول و الخرق والتوتير و الانحراف و الانتهاك و التدمير و التهديم و الفرق و البعد و اللحن"[3] ، ثم يصطفيه على صنويه الأكثر تداولا في النقد العربي ، و هما " العدول و الانحراف"[4]. و قد ارتضى الدكتور مرتاض مصطلح الانزياح دون غيره، ليكون دالا على نسق اصطلاحي معرفي لغوي يفيد معنى خرق المألوف أو الخروج على المعيار(**Norme**)، " فإنّ خروج النسج عمّا ألف المتعاملون مع اللغة هو ما يطلق عليه اليوم في المفاهيم السيميائية (الانزياح)"[5]. و قد تمثله الدكتور مصطلحا مفهوما وظيفيا[6] و إجراء أسلوبيا حول للسيميائية و قد عدّه نظريّة من نظريات السيميائية[7]. هذا المصطلح مفهوما و إجراء آليا قدّمه على غيره الدكتور لمسوّغين أساسيين:

– افتقار (العدول) إلى قوة مفهومية و خلفية معرفية، بل هو مجرد أداة لقراءة نحوية.

- (الانحراف) غير متداول سيميائيا، بل هو متداول في المعاني المادية"[8].

2-بين الانزياح و العدول في المصطلح و المفهوم: و عليه، يكون اختار الدكتور قد وافق ما شاع و ذاع بين جمهور النقاد، و إن كان المتداول عند المصريين مصطلح الانحراف بدل الانزياح، و الذي يسجل للدكتور في حقل المصطلح البحث الحفري في المصطلح من حيث المرجعيات اللغوية المختلفة خاصة الفرنسيية منها هو ضلوعه باللغة خاصة الجانب الاشتقاقي منها، ناهيك عن الحديث عن امتلاكه ناصية العربية ، ثم" نسجل... عناية مرتاض البالغة بمشكلة المصطلح، و نسجل...حساسيته اللغوية المرهفة إزاء عدد من المصطلحات السائدة في النقد المعاصر. و نسجل ...إسهامه المتميز في اقتراح مصطلحات بديلة، و جرأته الزائدة على استحداث مصطلحات جديدة لم يكتب لمعظمها النجاح"[9] .

تلك خلال عرف بها الدكتور مرتاض ، و هي من مستلزمات العلم و أصول البحاثة، وأخلاق المجتهد في حقل النقد الأدبي، بل هي من ثقافة الناقد التي تتجاوز علمه في سعته وتنوعه، و منهجه في شجاعة قلبه في تجاوز الراهن دون تفريط أو افراط. و إن وجدنا من يخالفه الرأي أو المنهج فينتصر لغير ما ذهب إليه الدكتور مرتاض في تقديم مصطلح(العدول) على مصطلح(الانزياح) بحجة حضور الأول(العدول) في التراث العربي، و غياب الثاني في المصطلح التراثي. و من ضمن المنتصرين لمصطلح العدول الدكتور التهامي الراجي الهاشمي في "معجم الدلائلية "، و قد وظفه في سياق مبحث من مباحث فقه اللغة(المشترك اللفظي)[10]، و هذا مبحث تراثي صرف، قد أورده ابن جني (392هـ) عنوان مبحث وسمه بـ"باب في العدول عن الثقيل إلى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف"[11] ، و هذا ما يفيد المعنى الفقهي اللغوي صراحة. كما انتصر الدكتور سعيد بوطاجين لمصطلح العدول، يقول:" لماذا مصطلح انزياح؟ لا نجد أيّ تسويغ لهذا المقترح، ليس لأنّه مستثقل صوتيا، بل لأنّ المفهوم و مصطلحه قائمان منذ قرون، لذلك نرى أنّ مصطلح عدول أجمل و أدل، و أكثر اقتصادا من ناحية الحروف التي تشكله. إضافة ألى ذلك، فإنّ مستعملي الانزياح لم يقدموا أيّة تبريرات لهذا الخيار الذي جاء شاردة لا مرجعية سببيّة لها، لا من الناحية اللغوية و لا من الناحية المفهومية و لا من الناحية الفلسفية و لا من الناحية الاجرائية"[12].

فهذه حجة قد لا تستقيم في المنطق الحجاجي، باعتبار أن العدول مصطلح لغوي و نحوي ثم بلاغي، و مبحثنا في مجال المناهج النقدية المعاصرة، و العدول مصطلح كذلك نجده في الميراث

الاصطلاحي باقسامه اللغوي و النحوي و البلاغي ، نلتمس دلالته في كلام ابن جني لقوله:"... و إنّما يقع المجاز و يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة، و هي: الاتساع، و التوكيد ، والتشبيه. فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة ألبتّة. فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الفرس: هو البحر. فالمعاني الثلاثة موجودة فيه. أمّا الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس و طرف و جواد و نحوها البحر، حتّى إنّه إن احتيج إليه في شعر أو سجع أو اتساع استعمل استعمال بقيّة تلك الأسماء؛ لكن لا يُفضَى إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبهة"[13]. وتلك سمات في العربية و علومها و مصطلحها عبّر عن هذا المعنى إبراهيم السامرائي في بعض كتبه:"... و سعة العربية مستغنية عن اشتراط النحويين... و العارفون بفنون القول يدركون هذا"[14]. إنّ المصطلح إذا دفع و ارتضي غيره، لا يكون ذلك لقدم أو حداثة، أو لألفة المشتغلين به من نفور غيرهم عنه، و إنّما مقتضى القبول هو التناسب الواجب وقوعه بين الدال اللفظي مع مدلوله بوصفهما طرفا دلالة المصطلح.

و قد أورد عبد القاهر الجرجاني(471هـ) مفهوم مصطلح العدول معنى بإيراد جذر فعله(عدل) بما يشبه ما ذكره ابن جنّي سلفا ، و يتكشف لنا ذلك جليّا في سياق حديثه عن تفاوت المعاني لتفاوت التعبير في كلام الشاعر. و في هذا يقول الجرجاني:"...و لكنه كأنّه ترك تلك الطريقة و عدل إلى هذه، لأنّها أحسن في هذا الكلام خصوصا. و سبب حسنه أنّه كأنّه بدع عجيب"[15]. فالقول البدعي البائن عن مألوفه عدول لدى عبد القاهر الجرجاني لعجبه وغرابته، و دون هذا المعنى في نسق البنية الدلالية في خروجها من السياق المعجمي إلى التركيبي نجد تفسير أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (538هـ) للفظة (لحن القول) الواردة في قوله تعالى:" وَ لَو نَشَاءُ لَأَرَينَاكَهُم فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُم وَ لَتَعْرِفَنَّهُم فِي لَحْنِ القَوْلِ وَ اللهُ يَعْلَمُ أَعمَالَهُم"محمد/30، فانظر إلى قوله في لفظ اللحن"... و قيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب"[16].

فمفهوم مصطلح العدول هنا يأخذ دلالة معيارية الخطأ من الصواب في الكلام،و الانزياح بوصفه مصطلحا أسلوبيا سيميائيا لا يتناول هذه الدلالة من منطلق أن المنهج الحداثي لا يشتغل على التقييم أو التقويم في مقاربته للنص الأدبي بخلاف الدرس النحوي الذي يقوم أساسا على عملية التخطئة و التصويب بمرجعية القاعدة النحوية التراثية. و كذلك الشأن في البلاغة، فهي في مقاربتها للنصوص عموما تقتضي مطابقة الكلام لمعاييرها على مستوى المعنى و المبنى؛ ثمّ إنّ

الانزياح في المصطلح السيميائي يعد عنصرا فارقا في الكلام باعتباره علامة لها قوانينها في صلتها بالفكر و الواقع "و بعبارة أخرى هناك علاقة بين النظام المنطقي و النظام السيميائي للعلامات التي تحيل على مفاهيم، التي تعد بدورها علامات على الأشياء في الوجود الواقعي"[17]، بينما منطق المسألة اللغوية النحوية نجده معيارا تقييميا، و القاعدة فيه " هكذا قالت العرب أو "قل و لا تقل" كذلك الشأن في عرف المصحح للأخطاء الشائعة.

و من ثمّ يكون مصطلح الانزياح أنسب من مصطلح العدول لما سلف ذكره من الحجج، فإشكالية المصطلح قائمة في خطابنا النقدي ليس و حسب على مستوى التدافع القائم بين المنتصرين للتراث و خصومهم من الحداثيين، بحجة أنّ كل فريق يدعو الآخر إلى ضرورة التمسك بالهوية القومية اللغوية التراثية، و حجة الثاني أنّ من الحتمي مواكبة الراهن الثقافي و الحضاري الغربي، بل إنّ ترجمة مصطلح"Ecart" من الفرنسية إلى العربية يجد هذه الاشكالية القائمة على ثنائية التدافع الفكري في تغليب مصطلح التراث(العدول) على المصطلح الحداثي (الانزياح) أو العكس، ندرك هذا مثلا في ترجمتين لنص واحد، و هو: "Dictionnaire Encyclopédique des Sciences du langage"[18].

و السؤال الذي يطرح و يتناساه الجميع هو: أين المنطق العلمي في تحكيم العقل دون الدخول في هذه المعارك الواهية و الحروب الافتراضية؟

3- الانزياح و الانحراف في المصطلح و المفهوم: يصطدم مصطلح الانزياح بمصطلح الانحراف، و هو المنافس الآخر له، الذي يزاحمه الريادة ويغالبه المكانة في الكتابات النقدية العربية، و من وراء هذا تدافع في البرهان و تجاذب في علل قبول هذا و رفض ذاك. فإذا كان الشائع في النقد المصري هو مصطلح الانحراف، و هو ما رآه الانسب من حيث الترجمة خالد الأشهب للمصطلح الانجلو سكسوني(Déviation-Deviance)[19]، و يذهب إلى مثل هذا الرأي أحمد محمد ويس، إذ يقول عن "مصطلح (Déviation) الموجود في اللغتين الإنجليزية و الفرنسية، و لكنه في الانجليزية أكثر ورودا. وترجمته بالانحراف هي، فيما يبدو، أصح ترجمة له"[20].

و من الذين انتصروا للانحراف شكري عيّاد، فقد عدّه "سمة أسلوبية في اللغة الفنية، و قد ارتضاه مقصدا فنيّا رغم تحليه نقيصة الخروج على الطرق المتعارفة في التعبير الاجتماعي المعيب، فهو مقبول إذا كان له غرض فنيا لذلك لا يقدم عليه إلا أديب متمكن، و عمدته في ذلك مقولة لإبن جني: إنّ العربي الفصيح إذا قوي طبعه لم يبال أن يقع الشذوذ في شيئ من

كلامه(الخصائص:392/2)"[21]. و لقد دفع يوسف وغليسي ترجمة (Ecart) أو (Déviation) بـ(انحراف) ، " فليس من اللائق علميّا أن نترجمهما معا بالمشترك اللفظي انحراف، بل الامثل أن نترجم الكلمة الأولى بـ: (انزياح) ثم نمحض(الانحراف) للكلمة الثانية"[22]. و إذا كان المقصد ترقية النقد الأدبي منهجا و مصطلحا، فلا شك أن الأمثل في تصورنا هو توحيد المصطلح لفظا و مفهوما و إجراء.

و مما سبق نؤثر ما رجحه الأستاذ يوسف وغليسي لاعتباره المصطلح الأمثل (الانزياح) بدل (الانحراف) و قد شاب المصطلح الاخير ما ذكر–حتّى من ارتضوه كالدكتور شكري عيّاد– من نقيصة الدلالة الأخلاقية الاجتماعية ، ثمّ لعموم دلالته اللغوية، فإنّ مصطلح الانزياح قد يقدم عليه، خاصة و أنّه الأكثر حضورا في المصطلح العربي للدراسات الرائدة كما في الأسلوبية والأسلوب لـ (عبد السلام المسدي 1976)[23].

و من الكتاب المنتصرين لمصطلح الانزياح عبد الجليل مرتاض بوصفه خروجا على المعيار، وذاك في معرض استفهامه عن " الأسلوب كانزياح Le Style comme écart لا يعني إلا الانحراف عن المعيارية"[24]. و قد وافق في ذلك صلاح فضل في مفهوم الانزياح من حيث أنه يعادل ماهية الأسلوب في اقتفائه أثر المستحدث الجديد على مستوى الدلالة أو التركيب والصوت ، فيكون كذلك باعتبار نوع انحرافه" عن قاعدة الاستخدام اللغوي؛ و هي القاعدة التي تلاحظ عادة بهذا المفهوم؛ فيكون على التحليل الأسلوبي أن يأخذ في اعتباره الانحرافات التي يجريها مؤلف معين على التصورات النحوية و البلاغية السائدة في عصره"[25].

و في كتاب "نظرية النظم" يذهب صالح بلعيد إلى قريب من هذا المفهوم لمصطلح انزياح، و هو يمايز بين الأسلوب و الأسلوبية، فيذكر في جدول المفارقة أن الأسلوب:"انزياح لساني جمالي"[26] ، و الأهم في هذا هو إشارته لمصطلح الانزياح من حيث المفهوم بوصفه خروجا على المعيار في النص الأدبي، و يرتضيه مصطلحا من دون نظائره من المصطلحات كالانحراف مثلا ، ثمّ اضافته المظهر الجمالي– في تعريفه الأسلوب باعتباره انزياحا لسانيا– و هو أس من أسس العملية الإبداعية في النص الأدبي لكونه "مؤطرا لجملة مكونات الابداع، فالجمال يكون بأسلوب الحقيقة، التي تؤسس للمعنى الذي تقوله اللغة"[27]، و الأثر الجمالي للانزياح موطن وفاق لدى جمهور النقاد العرب و الدارسين، و إن تباينت عندهم العلل المنتجة له و الرؤى المشكلة لوجوه الجمال ، و إن

ذهب البعض إلى أنّ "الجدة و الغرابة التّي يحققها الانزياح هي مبدأ جمالي له أبعاد سيكولوجية هامة"[28] أو آثار انفعالية تكون من الصور البلاغية و التراكيب الايقاعية و التعابير النحوية ضروبا من الانزياحات اللغوية المشكلة في المنظور الأسلوبي للسمات الأسلوبية (Stylémes Stylistiques).

و قد يأتي الأثر الجمالي للانزياح من مفهوم الاستحسان بوصفه مبدأ أسلوبيا ، "فقد أدخله تشو مسكي في دائرة الكفاءة اللغوية"[29] ، و هذا يفيد أنّ المبدع في المجال الأدبي يقوم بعملية الاختيار اللفظي، ثم وضعه في نسق التركيب طالبا مبدأ التناسب اللفظي و التناسق الدلالي، فإما أن يتم له الأمر، و إما طرح اللفظ لغيره، و هديه في ذلك الاستحسان بصوره الايقاعية أو التركيبية أو الدلالية هو الكفاءة كما أشار تشو مسكي.

لقد أخذ الدكتور رابح بوحوش بمصطلح (الانزياح) " أسلوبا فرديّا من حيث هو عدول عن الاستخدام العادي، و قد اقتدى في ذلك بالدكتور عبد الكريم بكري من خلال رسالته المخطوطة، الدلالة الزمنية للفعل في القرآن الكريم، كما صرّح في بعض مؤلفاته، و إن علل اختياره بعلّتين: رواج المصطلح(الانزياح) و إقبال الذوق عليه[30]. و هذا الرأي لا شك أن يجد قبولا في التفكير النقدي العام، خاصة و أنّه قدم بين يديه حجة ترى في الرواج و الذوق معيارين لقبول المصطلح، إذ أنّ علم المصطلح يوجب معيارية في وضع المصطلح كالإجماع على نعت فكر أو مذهب أو سلوك بلفظ مفرد أو مركب وفق مقاييس تقتضي وفاقا و معرفة مرجعية في الأصول والمبادئ.

و من ثمّ يكون المصطلح" اتفاق طائفة على شيء مخصوص بناء على موازين مجمع عليها سلفا، أو كما قال الدكتور علي القاسمي"المصطلح كل وحدة(لغوية) دالة مؤلفة من كلمة(مصطلح بسيط) أو كلمات متعددة(مصطلح مركب) و تسمَّى مفهوما محددا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما"[31].

إنّ المصطلح الأدبي بهذا المفهوم يقتضي من المشتغلين به توحيده، و هذا ما نلمسه في مصطلح الانزياح في النقد الأكاديمي الجزائري- في حدود علمي- بحيث أنّنا نجده أكثر المصطلحات توظيفا دون غيره من المصطلحات التي درجت و راجت نذكر منها" العدول و الانحراف" . والأمثل توحيد المصطلح لفظا و مفهوما و توظيفا، و هذا ما تدعو إليه المجامع العربية، نذكر على

سبيل التمثيل ما أقرّه المجمع اللغوي العراقي، و أصدرته لجنة اللغة العربية في صورة قواعد في سبيل تأصيل المصطلح عند وضعه:[32]

1- مراعاة المماثلة أو المشاركة بين مدلولي اللفظة لغة و اصطلاحا لادنى ملابسة.
2- الاقتصار على مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد.
3- تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد.
4- التزام ما استعمل أو ما استقر قديما من مصطلحات علمية و عربية و هو صالح للاستعمال الجديد.
5- لا يشتق من المصطلح إلا بقرار هيئة علمية مختصة بوضع المصطلحات.
6- ايثار اللفظة المأهولة على اللفظة النافرة الوحشية....
7- يلجأ إلى ترجمة المصطلح الأجنبي عند ثبوت دلالته على معناه الاصطلاحي.

مثل هذه القواعد ما يساهم في توطيد أركان حركية المصطلح النقدي و يثمن جهد المصطلحي، ثمّ إنّ الذي شدّ انتباهي هو القاعدة(2 و 6). أما القاعدة الثانية :"الاقتصار على مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد "، و لعل هذا ما النقد العربي المعاصر في أمس الحاجة إليه، و لحسن الحظ نلمس توحيد المصطلح في النقد الجزائري بصورة أمثل من غيره في الوطن العربي، و لعل مصطلح "الانزياح" نموذج في ذلك، و قد يعود أمر هذا التوحد إلى حداثة النقد الأدبي المعاصر في الجزائر بالمقارنة مع غيره العربي، ثم لعله استفاد من عثرات النقد العربي في مثل مسألة تعدد المصطلح للمفهوم الواحد.

و أما القاعدة السادسة :" ايثار اللفظة المأهولة على اللفظة النافرة الوحشية " ،فهي قاعدة تؤهل المصطلح للمواضعة العامة لفظا و مفهوما و توظيفا، بحيث أنّها تيسر التواصل بين النقاد بمنظومة مصطلحية موحدة، ما يجعل العملية النقدية للنص الأدبي واضحة المعالم من حيث التنظير للمصطلح أو من حيث التحليل العملي لظاهرة الانزياح، و مرجع ذلك قبول المصطلح من جمهور المشتغلين به أساتذة و طلبة و قرّاء من هوّاة القراءات النقدية الأدبية.

و إذا كان أول إشكال يطرح على مستوى المصطلح هو اشكال ترجمته من اللغات الأجنبية إلى العربية. فالواجب توحيد الجهود على مستوى مراكز البحث و المعاهد الوطنية و أقسام الترجمة على مستوى كليات الآداب في الجامعات، و إذا كان النموذج المتخذ هنا علامة توحيد مصطلح(الانزياح) على مستوى البلد، فإنّه داع للإقتداء بجهود أصحابه في تلمس الأجدى في

ترجمة المصطلح مفهوما و لفظا، و تضييق مساحة الاختلاف بعد إحصائه و حصره، ليكون كل ذلك سبيلا أولا في مناقشة دواعي الاختلاف سعيا لتوحيده ، و مثل هذا ما انجزه أحمد محمد ويس في مؤلفة المشار إليه سلفا " الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية "، و قبل هذا في مقال لـه مفيـد ممتـع" الانزيـاح و تعـدد المصـطلح"، و قـد نشـر في مجلـة عـالم الفكـر (**مج25/ع3/سنة1997**) و قد أحصى المصطلحات التي تجاذبت مصطلح الانزياح، و رأى أنّها تجاوزت الأربعين مصطلحا، الأكثرها تداولا بعد الانزياح " العدول و الانحراف". و تلك مهمة تناولها اكثر من ناقد جزائري، نذكر منهم عبد الملك مرتاض في "نظرية النقد الأدبي" ويوسف وغليسي في "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد" و السعيد بوطاجين في "الترجمة و المصطلح" أين تتبع تاريخ مصطلح الأسلوب و من خلاله نظر في مصطلح الانزياح، فاتخذه عيّنة تمثيلية للتدليل على مرجعية علم الأسلوب[33]، فنظر في ترجمة (Ecart) ، فوجدها قد وردت بطريقتين: انزياح، عدول، كما وجد البعض يستعمل مصطلح مفارقة، مع أنّه يدل على مفهوم آخر Paradoxeفي الفرنسية وParadoxفي الانجليزية وParadoxa في اللاتينية، رغم أنّه يتقاطع مع (**Ecart**)"[34].

إنّ دفع الدكتور السعيد بوطاجين لمصطلح الانزياح نجد فيه بعض التحامل على ما ارتضاه جمهور النقاد و المنظرين للمصطلح النقدي، ولا حجر على الرأي و إن تفرّد و شذّ، و اعتبر العدول أجمل من الانزياح، لعلة الاقتصاد في الحروف المشكل لمصطلح العدول، و لمباشرة دلالته على المعنى.

فالعدول مصطلح لغوي نحوي بلاغي تراثي، و هذا لا يسيء في شيء إلى المصطلح في تراثنا، بينما الانزياح مصطلح حداثي ، هو مقتضى من مقتضيات المعارف الحداثية من لسانيات وأسلوبيات و سيميائيات. و القول بعلة الاقتصاد في الحرف المشكل للعدول مقارنة مع مصطلح الانزياح أمر فيه نظر. أما القول بأنّ مصطلح العدول أدل في المعنى، فهذا قد يصح لما وضع له المصطلح أساسا، بحيث أن القائل بالعدول، كان يرى في القول خطأ، ثم يعدل عنه إلى الصواب، أو ما في معناه من إزاحة سالب و استبداله بموجب و هذا مبحث لغوي، الشاهد في ذلك المادة المعجمية و ما تقدم لنا من دلالات جاء في لسان العرب:"زيح: زاح الشيء يزيح زيحا و زيوحا زِيوحا و زيحانا، و انزاح : ذهب و تباعد ؛ و أزحته و أزاحه غيره. و في التهذيب: الزّيح ذهاب الشيء، تقول: قد أزحت علته فزاحت ، و هي تزيح ؛ و قال الأعشى:

وفي حديث كعب بن مالك: زاح عني الباطل أي زال و ذهب. وأزاح الأمر: قضاه".[35]

ثمّ إننا باستخدامنا لمصطلح العدول نحتاج كلّما ذكرناه إلى تقديم إيضاح للمتلقي، بأنّنا لا نريد المصطلح اللغوي أو النحوي أو البلاغي، أي التراثي، و إنّما نريد المصطلح الحداثي الأسلوبي أو السيميائي، و لا شك أنّ ذلك يحتمل مشقة و غبنا للملقي و المتلقي في آن واحد. بينما الانزياح شأن أسلوبي، يرى فيه الأسلوبي أو السيميائي فرضية اختيار المبدع لنظام صوتي أو لفظي أو تركيبي أو لمنظومة دلالية، ثم يرى أنّه استبدلها بغيرها أو قدم فيها و أخّر، ذاك هو مفهوم الانزياح في المنظور الأسلوبي، و هو صريح المعالم في محوري الاختيار و الاستبدال عند رومان جاكبسون، يشير إلى هذا في معرض حديثه عن العلاقات السياقية و الاستبدالة الثنائية في الكتاب الأول، وفي الكتاب الثاني عند إشارته لمصطلحي"Déviation et Norme Régnante"[36].

و مثل هذا أشار إليه ليو سبيتزر عندما ادخل مفهوم الانزياح في أسلوبيته، يقول :" يجب أن يمثل انحراف الفرد الأسلوبي عن القاعدة العامة خطوة تاريخية، يقطعها الكاتب، و يجب أن ينم هذا الانحراف عن التحول في روح العصر، و هو تحول يعيه الكاتب و ينقله في شكل لغوي يكون بالضرورة جديدا"[37]. هذا منطق الانزياح من حيث الماهية كما عرّفه واضعوه من الأسلوبيين ، فمثلا شارل بالي ينعت "الانزياح بين اللغة العادية و اللغة الأدبية بالمسافة الكبيرة، التي لا يمكن الحياد عنه، فكلّما تقاربت الفجوة بين اللغتين بفعل جهد جديد، تباعدت اللغة الأدبية عن العادية"[38].

ليس هذا و حسب على مستوى لغة التواصل العادي النفعي، بل ندرك ذلك على مستوى اللغة الفنية أيضا فتباين أسلوب في مستوى من المستويات اللسانية للغة الخطاب الأدبي يعد انزياحا، إذ أنّ الانزياح في معاجم المصطلحات يأخذ خاصية الخروج أو الخرق و الانتهاك صفة عامة شاملة لصور اللغة أدبية أو عاديّة كانت. فمصطلح (Déviation) في قاموس الأسلوبية و البلاغة لحسن سعيد غزالة يوحي بعموم المصطلح، و قد وردت ترجمته باللفظ التالي"(1) انحراف أسلوبي؛ (2) خروج عن المعتاد(في استعمال اللغة)؛ (3) انحراف عن معايير اللغة؛ (4) مخالفة المألوف المتوقع"[39] ؛ و الملاحظة نفسها ندركها عند جون دي بو(Jean Dubois) في قاموسه، إذ يقول عن مصطلح الانزياح :" عندما نقارن بين حالتين في اللغة ، و نلاحظ في الحالة الأولى حضور و حدة لغوية، نجد بدلها أخرى في الحالة الثانية دون تغير في المعنى . نستنتج حضور انزياح

بين الحالتين في اللغة نفسها... و عندما نحدد المعيار في اللغة المشتركة، فكل خروج عليه يسمّى انزياحا...و عندما ندرك للانزياح قيمة جمالية، عندئذ يحلل على أنّه عمل أسلوبي"[40].

و من الباحثين المنظرين لمصطلح الانزياح الدكتور حسين خمري، فقد انتصر له في معرض تناوله لشعرية الانزياح [41]، و كذلك مسعود بودوخة[42] ، وقد عدّه نور الدين السد نظرية نقدية "عند الحديث عن خصائص النص غير العادي سواء كان... معنويا دلاليا أو نحويا تركيبيا بما في ذلك (البنى القاهرة) كالوزن و القافية"[43].

قد تكون الملاحظة العامة التي نسجل –بعد عموم استخدام الأكاديميين الجزائريين لمصطلح الانزياح بدل نظيريه"العدول و الانحراف" – هي عموم دلالة الانزياح مصطلحا في الابداع بأجناسه الأدبية و في اللغة، و الشاهد في ذلك ما وقف عليه البحث من شبه إجماع على ما وظف الأكاديميون و المنظرون للمصطلح النقدي(الانزياح) من الجزائريين. و لعل أفضل تصريح بذلك ما ورد في آخر الفصل الثاني الموسوم(الحقل الأسلوبي) من كتاب يوسف وغليسي(إشكالية المصطلح)، فقد جاء فيه:"... غير أنّ الانزياح يتميز عن صنويه بما يمكن تسميته " عذرية اصطلاحية"، أي أنّ دلالته لم تستهلك في حقول معرفية أخرى، بخلاف (الانحراف) و(العدول) اللذين تتوزّعهما مجالات دلالية شتّى. و على ذمة هذه المسوغات، اصطفينا(الانزياح) مصطلحا معادلا للمفهوم الغربي. و نبذنا ما دونه من مرادفات جزئيا أو كليا؛ بحسب السياق الأسلوبي الحاضر أو بمقتضى غيابه...."[44] مركزا ليس و حسب بوصفه مصطلحا مؤيّدا للوظيفة التواصلية، بل و كذلك لحمولته الفنية الماثلة في الوظيفة الأسلوبية كما ينعتها ميخائيل ريفاتير، أو الوظيفة الجمالية كما يسميها جيرار جينيت(Gérard Genette) و ينعتها بالقصدية، وكثيرا ما تتصل هذه الوظيفة بظاهرة الانزياح في الأثر الأدبي، و قد عرّفها جينيت بقوله:"الوظيفة الجمالية القصدية، هي ما يجعل للعمل الفني في ذات المتلقي أثرا، قد يكون شعورا قائما على أسٍّ فحواه أنّ العمل الابداعي قد تمّ بمرجعية قصدية جمالية، و إن كانت جزئية"[45].

إنّ مصطلح الانزياح أدلُّ في العموم على المعنى المبتغى، و أفضل مناسبة إشارية للدلالات المعرفية الحداثية في العلوم اللسانية و المناهج النقدية المعاصرة من نظيريه (العدول و الانحراف). ولعموم دلالته اللغوية، و المناسبة المعرفية يقدم مصطلح الانزياح و يؤثر على غيره.

4– الإنزياح و الاجراء الوظيفي: الكلام على الكلام حقل من حقول المعرفة، ولا يؤتي الكلام ثماره خلا من سلطان البيّنة، ذلك شأن الكلام في التنظير، فإنّه لا يتجلّى سلطانه إلا

بمقاربة النص الأدبي في توصيف الظاهرة وكشف ملامحها لإبراز مقاصدها. هذا الذي يستشرفه المتلقي من قراءة المقاربات الأسلوبية الانزياحية من خلال الوقوف على السمة الأسلوبية (Styléme Stylistique) في النص ، باعتبارها انزياحا(Ecart)، ثم يتم تحليل معالمها التراثية المتداولة المعهودة لتشكِّل ملمح المعيار(Norme) الذي كثيرا ما يتواجد في النص، و قد وقع فيه الانزياح ظاهرة أسلوبية.

لعل أبعد نموذج أسلوبي في النقد الجزائري المعاصر حلل ظاهرة الانزياح في النص الأدبي، هو – كما أسلفت– عمل عبد الملك مرتاض في" النص الأدبي: من أين ؟ و إلى أين ؟ " أين عمد الدكتور إلى سبيل منهجي هو تفكيك النص من حيث بناه، للاهتداء إلى سر اللعبة في أسلوب النص لمعرفة نظام الكلام و أصوله التركيبية و الافرادية[46]، و إدراك أصول النص لا تكون إلا بالانتباه إلى السر الأسلوبوي (نسبة إلى الأسلوبية)[47].

لقد تناول عبد الملك مرتاض رسالة أبي حيان التوحيدي لصديق له، و هي ضمن الاشارات الالهية، وقف من خلالها على بنى النص اللفظية(الأسماء و الأفعال)، و أول استنتاج انتهى إليه الدكتور، و قد سجّله ملاحظة هو الوارد في قوله :" إننا حين جئنا إلى هذا النص نلاحظ اسماءه اندهشنا لهذه السيطرة المطلقة التي فرضها الاسم على النص، و في كثير من الأطوار على حساب الفعل و دلالته الزمنية المفترضة فيه تقليديا: فما أكثر ما استغنى هذا النص عن الفعل "[48].

فالملاحظ هنا وقوف عبد الملك مرتاض على ظاهرة الهيمنة في الأسلوب (Dominant)، والأصل في الكلام الفعل و الجملة الفعلية، فما داعي انزياح أسلوب الرسالة من البنية الفعلية، وهي الأصل في الكلام ، إلى البنية الاسمية ، وهي الفرع في الكلام. و قد وقعت مهيمنة في رسالة التوحيدي؛ السر في ذلك يرجعه عبد الملك مرتاض إلى الفكر المقصدي في النص الأدبي، أو كما يسميه النقد المعاصر بالمقصدية (Intentialité).

إنّ الاستغناء عن الفعل لا يعني الاستغناء عن الزمن مطلقا، إذ زمن الفعل بأصنافه الثلاث لا يشكل انعدامه في وحدات الكلام غياب الزمن المرجو تحقيقه، إنه الزمان الابداعي، الذي هو أعمق دلالة و ارشق امتدادا، ثابت موجود"[49]. لقد اعتمد الدكتور مرتاض في تحليله الأسلوبي الممتع المفيد– بالإضافة إلى تفكيك النص إلى وحدات و هو مطلب أسلوبي– على المنهج الاحصائي العددي و النسبي، و هو إجراء ضروري لإدراك ظاهرة الانزياح من المعيار، لكن الاشكال في منهج الدكتور هو التحرر من المنهج و من مصطلحاته إلى أبعد مدى[50]، و قد يجوز

له ما لم يجز لغيره، باعتباره- في رأيي- قد بلغ درجة الاجتهاد؛ فالملاحظ عدم ذكره للمصطلح الاسلوبي في معظم تحليله لرسالة التوحيدي، وقد جاء ذكري لها كالمهيمن و المقصدية و المعيار والانزياح، و على النقيض من ذلك نجد عبد الملك مرتاض يذكر المصطلح(الانزياح) في بعض الدراسات دون غيرها كما في شعرية القصيدة أين درس الصورة ضمن مصطلح الانزياح الذي تتنازعه مفاهيم عديدة كالأسلوبية و السيميائية، و هذه إشكالية أخرى من إشكاليات المنهج، فبأي مفهوم يتناول الاجراء(الانزياح) النص، أبالمفهوم الأسلوبي؟ أم بالمفهوم السيميائي؟ أم بالمنهج المركب السيميوأسلوبي Sémiostylistique، كما دعا إلى ذلك جورج مولينيه[51].

إنّ تحاليل الدكتور عبدالملك مرتاض نعتها عبد الملك بومنجل بالتحاليل الفذة، ليس و حسب في مستوى اللفظ و التركيب، بل و كذلك على مستوى الصورة، كما في تحليله للصورة في أشجان يمنية"يسترسل في استحضار دلالاتها و إيحاءاتها. و قد أوتي في ذلك مقدرة كبيرة تغريه بالإسهاب في التحليل حتى تراه يحلل عبارة قصيدة من قبيل قول الشاعر:"و الساعة السليمانية امتدت عروقها" في ست صفحات"[52]. و شبيه بمثل هذا التحليل نلمسه في تناول الدكتور عبد الملك مرتاض في"الانزياح اللغوي في اللغة الشعرية"، أين نلاحظ نعت الدكتور المصطلح بالانحراف في مثل قوله:"...و نلاحظ أنّ الانحراف لم يشمل النسج اللغوي داخل البيت وحده، و لكنه امتد إلى الانحراف المعنوي"[53].

و هنا نقف على ظاهرة تعدد المصطلح الدال على مفهوم الانزياح، و إن كان الدكتور قد رشّح مصطلح الاسلوب في غير"قضايا الشعريات"، ما يجعل مصطلح الانزياح يلتبس مفهومه بمفهوم الانحراف(Déviation).

و من ثمّ يحمّل المصطلح من الدلالة ما لا يطيق من الدلالات التي اقتضتها حداثته اللسانية الأسلوبية، حتّى أنّك في عرف الدكتور لا تميز بين الانحراف البلاغي و الانزياح الأسلوبي، فانظر لمثل قوله:"...و نحن نعتقد أنّ الانزياح، أو الانحراف الأسلوبي في اللغة الشعرية... يمكن أن يمثل في مظهرين اثنين: المظهر الأول في بنية النسج اللغوي فيقع اختراق اللغة . و المظهر الآخر بانتهاك المعاني المعجمية بنحميلها معاني جديدة لم تعرف عليها، أو بها ، من قبل. و المظهر الأول ألصق بالأسلوبية، و المظهر الآخر ألصق بالمجاز اللغوي بأنواعه.

و المظهران الاثنان في الحقيقة مترابطان إلى حدّ التلازم"[54]، لا تكاد تميز بين المبحث البلاغي القديم و المبحث الأسلوبي الحداثي، فالانحراف البلاغي هو الانزياح الأسلوبي، و قلب المعادلة يصح في عرف الدكتور.

و من الأساتذة الذين تناولوا درس النص الأدبي القديم في دائرة الانزياح ضمن الدرس اللساني الدكتور رابح بوحوش، الذي حدد ابتداء مفهوم المصطلح ، فقال: " و الانزياح الذي نحاول الوقوف عليه في شعر البحتري هو من أوجه عبقرية أبي الوليد، سواء ذلك الذي عمد فيه إلى التصرف في اللغة، أم إلى الاختيار، و التفضيل، أم إلى إحداث عنصري المفاجأة، و خيبة الانتظار، أم ذلك الذي يميل فيه إلى الديباجة الفريدة المتميزة؛ لخلخلة نفس المتلقي"[55]. يبدو جليا للأفهام أن مفهوم الانزياح قد أخذه رابح بوحوش في دائرة أوسع، إذ ضمنه دلالات تنتمي لمنهج التلقي و استقبال النص. و قد نعته في بعض المناسبات بمصطلح المجاوزة، يقول:" و قد بدا لنا أن الانزياحات التي مارسها أبو الوليد هي إجراءات تقوم على مبدأ المجاوزة في البنيات: الايقاعية، و المورفولوجية، و التعاقبية، و الادراجية"[56].

و هنا تتجلّى لنا الاشكالية في المصطلح، فهي في قسم التنظير تتضح اصطلاحية الملمح ، إذ اختار رابح بوحوش الانزياح مصطلحا يفيد به نظرية الاختيار و التوظيف، أو كما أشار في هامش الصفحة197 إلى محوري التأليف و الاختيار، و في القسم العملي يوظف مصطلح المجاوزة بمفاهيم بلاغية مثلا كما في مبحث الحذف، أو المجاوزة بالتغيير، كما في خاصية الممنوع من الصرف، و الأولى أن تسمّى الظاهرة كما أسس لها واضعوها في الأسلوبية:" أي السمة الأسلوبية بين المعيار و الانزياح ".

و من الدراسات الجادة في البحث الأكاديمي دراسة الدكتور علي ملاحي" الجملة الشعرية في القصيد الجديد-السياب نموذجا"، و مما يزكّى في هذا العمل إشارة الدكتور إلى مفهوم الأسلوب لدى ريفاتير، "فهو عبارة عن إنزياح على النمط التعبيري المتواضع عليه و الانزياح بمفهومه طرق للقواعد حينا و لجوء إلى الصيغ النادرة حينا آخر"[57].

و هذا النقل المؤسس- في اعتقادي- لقاعدة الانزياح و المعيار يملك من الصحة ما يقع عليه الاجماع و لا يختلف في سلامته اثناء، بحيث أن الانزياح بوصفه سمة أسلوبية، و هو الاستثناء في الاستعمال اللساني بين الناس، قد يوجب الوقوف على المعيار الذي يكون في عموم اللغة غالبا،" فالوقائع الأسلوبية، من جهة، لا يمكن ضبطها إلا داخل اللغة مادامت هي حاملتها، و ينبغي من

جهة أخرى، أن يكون لهذه الوقائع طابع خاص، و إلا لا يمكن تمييزها عن الوقائع اللسانية"[58]؛ التي لا تشكل بنية ابداعية اللغة في تداوليتها المعهودة أو ضمن النسق العام خطا يمثل الكتابة في درجة الصفر، إلا إذا اتسمت هذه البنية النصية ببعض الفرادة بوصفها خرقا لسسن اللغة، و تلك مهمة "التحليل الأسلوبي أن يقرأ نسق العبارة و يوضح مواطن الجمال و يحدد طبيعة الجمال، ويركز على ما له أهمية أسلوبية"[59].

تناول الدكتور ملاحي الجملة الشعرية في شعر السياب بصورها الثلاث التركيبية النحوية والايقاعية و الدلالية

ففي مثل الأولى يقف عند بعض الجملة الفعلية و يلاحظ في مثل قول السياب:

و ينهد مهد

و يخبو شعاع

فيقول:" هذه الجملة الشعرية السيابية تمثل هذا المد التركيبي الأصولي " و ينهد مهد/ و يخبو شعاع/" الجملتان تتواليان خطيا مع المعايير اللغوية النحوية:فعل و فاعل، فعل و فاعل، و الفعلان متصرفان مع ضمير الغائب المذكر هو يخبو، هو ينهل=، و من الناحية العروضية من مجزوء المتقارب و يمكن كتابة هاتين الجملتين على الشكل التقليدي الآتي:

و ينهد مهد و يخبو شعاع

و بالتالي فإن قراءة هاتين الجملتين من الناحية الشعرية الجديدة تسقطان، لأنهما لا تملكان الطاقة الانحرافية و لا التركيبية و لا الايحائية و لا الدلالية التي تتسم بها الجملة الشعرية"[60]. هذه قراءة لعينة من الجمل الشعرية ذات البناء النحوي الفعلي النمطي، و في المقاربة الأسلوبية يعد هذا شكلا من أشكال البناء المعياري للغة التي لا تنتج جمالية فرادة أو إنزاح أو ما شئت من صور الخرق المعياري.

و عليه فلا شعرية لتلك الجمل أو لا أثر لأدبية النص، ما لم تضف الجملة أي إضافة في أي نوع من أنواع التركيب، فلا شعرية لها، إذ "الشعرية خلق جديد للقاعدة، تجسدها صورة دلالية جديدة، و تنحتها أشكالا غير مألوفة مقارنة مع اللغة المعيارية"[61]. لا شك أن خاصية الانزياح علامة فارقة في أدبية النص و جماليته، بل هي "سمة كافية على الأقل لتمييز الخطاب الشعري من اللغة الشعرية أو بعبارة أدق من اللسان الشعري"[62].

إنّ ترشيد المصطلحية ترجمة و دلالة و توظيفا ليس من الشأن الصعب المستحيل، و لا بالشاق المكلف، متى حسنت النيات، و تضافرت الجهود، و تسامت المقاصد العلمية بغية التأسيس لنقد قويم أسّه مصطلح راشد مرشد محفز لحركة نقدية علميّة مبدعة.

5-الخاتمة:

كل وعي هو وعي بشيء ما، عبارة فلسفية تحملنا على حتمية مراجعة حيثيات المسائل الفرعية المؤلفة لجزئيات القضية الكلية. و عليه، يكون من الضرورة:

- فهم الظاهرة النقدية فهما يستوعب عمومها، و لا يستشكل المصطلح خارج إطار الصياغة اللفظية في علم المصطلح و لا المفاهيم خارج التفكير النقدي بمرجعياته الفلسفية و لا المعرفية الكونية عموما، و لا خارج الأطر العملية في الأنساق النقدية التطبيقية.

- استيعاب المصطلح، و هذا يقتضي مراجعة على مستوى البحث المؤسساتي المهيكل على مستويات خلايا علمية تشكلها معاهد البحث و أقسام الجامعات، يتدرج فيها البحث في المصطلح حتّى يبلغ خلية رأس الهرم الماثل في مجمع الترجمة و المصطلحيات بوصفه مؤسسة قائمة بذاتها، يقوم على هذا المعلم العلمي كبار النقاد كعبد الرحمن الحاج صالح و عبد الملك مرتاض وغيرهما من كبار علماء الوطن.

- تخريج المصطلحات في تآليف مجمعية ترفع للجامعات و معاهد التعليم العليا و المدارس الوطنية لتعتمد في الدراسات الأكاديمية، و لنا في المجامع الفرنسية و الانجليزية، بل و العربية كالقاهري مثلا أكبر النماذج في التأسي و الاقتداء.

- تظافر الجهود العلمية جميعها و لتحقيق هذه الغاية، لا بد من إلتزامات وطنية من الباحثين والكتاب في الحقول المعرفية المتصلة بالمصطلح النقدي و ما قاربه من العلوم الانسانية والاجتماعية.

- الالتزام بمشروع موحد في المصطلح، و هذا لا يحجر على أحد في رغبته الذاتية، و لا يمانع في الاختلاف ضمن دائرة الوفاق و الائتلاف، إذ من الطبيعة البشرية الاختلاف، و لكن المبتغى أن يكون الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد، إذ الطبيعة الفكرية قد تنزع بها الهمة إلى هاجس التفكير للفهم و التعمق في الظاهرة المطروحة للمعالجة.

– التسامي في البحث العلمي الذي يقتضي العمل الجماعي المؤسساتي النابذ للسطحية والعمل الفردي، و الداعي إلى التفكير التكاملي على مستوى الأفراد و المؤسسات لخدمة مشروع علمي وطني يتجاوز الفردانية.

هوامش البحث:

[1] ينظر: عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ و إلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص67 و ما بعدها...

[2] تأمل قوله و هو يناقش تراكيب سيبويه" آتيك غداً، و سآتيك أمس...حملت الجبل، و شربت ماء البحر . فليس مثل هذا الحديث عن النسج اللغوي للكتابة الأدبية إلا حديثا مبكرا عن السيميائيات المبكرة القائمة على الانزياح الأسلوبي..." إلى أن يقول:" أرأيت أنّ حمل الجبل لا يندرج، من منظور انزياحي (و الانزياح) (Ecart, Gap) يتصنّف بامتياز في حقل السيميائيات.."ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، ط2، 2010، ص172.

[3] عبد الملك مرتاض، شعرية القصيدة– قصيدة القراءة، ص129–133، نقلا عن: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، و منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص215.

[4] عبد الملك مرتاض، قراءة النص، مؤسسة اليمامة، كتاب الرياض، عدد،46–47، أكتوبر– نوفمبر 1997، ص306–308، نقلا عن: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، ص215.

[5] عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص 173.

[6] ينظر: عبد الملك مرتاض، بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة" أشجان يمنية"، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1991، ص50 و ما بعدها، (فصل الثاني:خصائص الصورة).

[7] يصرّح بهذا الدكتور مرتاض في قوله بعد ذكره أنواع النزياح(البلاغي– النحوي– الوصفي– الأسلوبي–):"... وببعض ذلك أمكن الرّقي بهذا المفهوم الأسلوبي البلاغي في أصله، و السيمائي في راهنه، إلى مستوى النظرية". ينظر: عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، متابعة و تحليل لأهم قضايا الشعر المعاصر، دار القدس،ط1، 2009، ص193.

[8] عبد الملك مرتاض، قراءة النص، مؤسسة اليمامة، كتاب الرياض، عدد،46–47، أكتوبر– نوفمبر 1997، ص306–308، نقلا عن: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجديد، ص215.

[9] عبد الملك بومنجل ، تجربة نقد الشعر عند عبد الملك مرتاض ، الجزائر ، قرطبة للنشر و التوزيع، ط1، 2015، ص29.

[10] ينظر: يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص219.

[11] ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط3، 2008 ، ج262/2.

[12] السعيد بوطاجين ، الترجمة و المصطلح ، منشورات الإختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2009 ، ص135.

[13] م.س.ن ، ج208/2.

[14] إبراهيم السامرائي، من سعة العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص12.

[15] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط3، 1992، ص164.

[16] الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، دط، دت، بيروت، لبنان، مج538/3.

[17] للتوسع في الموضوع ينظر: أمبرتو إيكو، العلامة: تحليل المفهوم و تاريخه، تر: سعيد بنكراد ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ، ط1، 2007، ص214 و ما بعدها.

[18] جاءت ترجمة منذر عياشي ذاكرة لمصطلح الإنزياح ، ينظر: أوزوالد ديكرو و جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط2، 2007، ص171 ؛ و جاءت ترجمة عبد القادر المهيري و حمادي صمود ذاكرة مصطلح العدول، ينظر: أوزوالد دوكرو وجان ماري شافّار، المعجم الموسوعي الجديد في علوم اللغة، دار سيناترا، تونس، د ط، 2010، ص157.

[19] نسبت كاتي وايلز" مصطلح (Déviation) إلى إلى النحو أولا، ثم إلى الأعمال الأسلوبية ثانيا"ينظر: كاتي وايلز، معجم الأسلوبيات، تر: خالد الأشهم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص195.

[20] أحمد محمد ويس، الانزياح و تعدد المصطلح(مقال)، مجلة عالم الفكر، تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب ، الكويت، مج:25، العدد الثالث، يناير/مارس1997، ص 60.

[21] ينظر: شكري عياد، علم الأسلوب، التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 175 بتصرف.

[22] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص218.

[23] أشار عبد السلام المسدي إلي المصطلح ، و كأنيّ به يغلبه على غيره من المصطلح البلاغي التراثي والحداثي:"التجاوز- العدول- الاتساع- خيبة الانتظار- الانتظار المكبوت". ينظر:عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان ، ط2006،5، ص124-125-126.

[24] عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الأسلوبية، دار هومة ، الجزائر ، دط ، 2013، ص98.

[25] صلاح فضل، علم الأسلوب، مبادؤه و إجراءاته، دار الشروق ، القاهرة، ط1، 1998، ص214.

[26] صالح بلعيد، نظرية النظم،دار هومة، الجزائر، دط،2004،ص157.

[27] ينظر: هلال الجهاد، جماليات الشعر العربي، دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعري الجاهلي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1 ، 2007، ص191 بتصرف.

[28] مسعود بودوخة، الأسلوبية و البلاغة العربية، بيت الحكمة للنشر و التوزيع ، الجزائر، ط1، 2015 ، ص51.

[29] ينظر: فيلي ساندرس ، نحو نظرية أسلوبية لسانية ، تر: خالد محمود جمعة ، دار الفكر ، دمشق ، ط1، 2003، ص121.

[30] ينظر: رابح بوحوش، اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر و التوزيع، دط ، 2006 ، ص196 (الهامش)بتصرف.

[31] علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، مطبعة المجمع العلمي، بغداد ، دط،1985،ص6.

[32]أحمد مطلوب، في المصطلح النقدي ، منشورات المجمع العلمي، بغداد ، 2002، ص11-12.

[33] السعيد بوطاجين، الترجمة و المصطلح، دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، ط1 ، 2009 ، ص123 و ما بعدها.

[34] م.س.ن، ص133.

[35] ابن منظور، لسان العرب، مادة(زيح)، دار صادر ، بيروت ، ط4 ، 2005 ، مج86/7.

[36] يراجع هذا في كتابيه:" الأول: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، تر: علي حاكم صالح و حسن ناظم، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 2002، ص34 و ما بعدها. الثاني:

-Huit questions de poétique,editions du Seuil,1977,P:84-85.

[37] عبد الله حوله،الأسلوبية الذاتية و النشوئية (مقال)، فصول مجلة النقد الأدبي ، مج5 ، ع1-2 ، ص86.

[38] *C.Bally, Traité de Stylistique Francaise,2e édition,Bibliothèque nationale de France, P: 248.*

[39] *Hasan. S. Ghazala, A. Dict OF Stylistics And Rhethoric, English. Arabic/ Arabic. English, Elga Publigations, 2000, P33.*

[40]*Jean Dubois et Autres, Dict. de Linguistique et des Sciences du Langage, Larousse, Paris, 1994,p: 163.*

[41] حسين خمري، سلطة النص، ص257،نقلا عن يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح،ص216.

[42] مسعود بودوخة في : 1-دراسات أسلوبية في تفسير الزمخشري، عالم الكتب الحديث، (الفصل الأول)،ص5 و مابعدها..، 2- الأسلوبية و خصائص اللغة الشعرية، عالم الكتب الحديث،(الفصل الثاني)، ص 39 و ما بعدها، 3- عناصر الوظيفة الجمالية في البلاغة العربية،عالم الكتب الحديث، (الفصل الثاني)، ص51 و ما بعدها، 4- الأسلوبية و البلاغة العربية، بيت الحكمة، (الفصل الأول)، ص50 و ما بعدها أين جعل الانزياح من خصائص اللغة الشعرية....

[43] نور الدين السد، الأسلوبية و تحليل الخطاب، دار هومة ، الجزائر، 2010 ، ج198/1 و ما بعدها.

[44] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح،ص220.

[45] *Gérard Genette, L'oeuvre de L'art, La relation esthétique, éd. Seuil, P:8.*

[46] ينظر: عبد الملك مرتاض، النص الأدبي: من أين؟ و إلى أين؟ ، ص 64.

[47] م.س.ن، ن.ص.

[48] م،س.ن، ص67.

[49] م،س،ن،ص.ن.

[50] تعليله لنظرية لامنهجية المنهج هو: حمل الباحث على القلق المعرفي و حشد همته على حب التفكير و عدم التسليم للوافد من دون روية في المراجعة و الدرس النقدي للمناهج و المصطلحات للتوسع يراجع مقال:هل "المنهج...هو اللامنهج" !؟، ضمن كتاب: مئة قضية...وقضية، دار هومة، الجزائر، دط،2012، ص9 و ما بعدها. و نظرية البلاغة،دار القدس العربي،2010 ، الجزائر. و أ-ي،دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجانعية، الجزائر، ص9 و مابعدها.

[51] *Georges Molinié, Sémiostylistique,L éffèt de L'art, puF, France, 1998,P:5*

[52] عبد الملك بومنجل، تجربة نقد الشعر عند عبد الملك مرتاض، ص173.

[53] عبد الملك مرتاض، قضايا الشعريات، ص197.

[54] م.س.ن،ص196.

[55] رابح بوحوش، اللسانيات و تطبيقاتها على الخطاب الشعري،ص197.

[56] م.س.ن، ص.ن.

[57] علي ملاحي، الجملة الشعرية في القصيد الجديد، دار الأبحاث، الجزائر، دط، دت ، ص14.

[58] ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، تر: حميد لحميداني، منشورات دراسات سال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص17.

[59] علي ملاحي، الجملة الشعرية،ص46.

[60] م.س.ن، ص85-86.

[61] ينظر جان كوهين، بنية اللغة الشعرية، تر: محمد الولي و محمد العمري، دار توبقال ، الدار البيضاء، ط1 ، 1986 ، ص106 (بتصرف).

[62] مايكل ريفاتير، دلائليات الشعر، ترجمة و دراسة: محمد معتصم، كلية الآداب و العلوم الانسانية، الرباط ، المغرب، ط1 ،1997، ص Lxix ضمن الدراسة.